بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٢١ -

عَمّ رَسول الله صَلى الله عَليهِ وسَلَّم

العبّاس بن عبد المطلب

رَضِيَ الله عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:
(هَـذَا العَبَّـاسُ عَمُّ نَبِيِّكُمْ، أَجْـوَدُ قُرَيْشٍ كَفَّـاً، وَأَوْصَلُهَا).

«رواه الحاكم»

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي في العَبَّـاسِ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُـلِ صِنْوُ أَبِيهِ، مَنْ آذى العَبَّاسَ فَقَدْ آذانِي).

«رواه الترمذي».

مقدّمة

الحَمْدُلِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ عَلى مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ إلى يَوْمِ الدِّينِ.

أمابعد: فَإِنَّ العَبَّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَمْ يَكُنْ إنسَانَاً مَجْهُولاً وَلاَ رَجُلاً مَغْمُوراً وَإِنَّما كَانَ عَظِيماً فِي قُرَيْشٍ بَارِزَاً بَيْنَ أَبْطَالِها مَعْرُوفاً بَيْنَ رِجَالاَتِها، وَزَادَتْهُ صُحْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِزَّاً، وَعُمُومَتُهُ لرسولِ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رِفْعَةً، وإِسْلاَمُهُ مَكانَةً، وعِبادتُهُ مَنْزِلَةً. وَلَكِنَّهُ لَعِبَ دَوْراً فِي الإِسْلاَمِ جَهِلَهُ الكَثِيرُونَ أَشَارَتْ إليهِ كُتُبُ السِّيَرَةِ دُونَ إِفْصَاحٍ، وَأَلْمَحَ إليه المُؤرِّخُونَ دُونَ الحَدِيثِ عَنْهُ، ذَلِكَ الدَّوْرُ هُوَ إِسْلاَمُهُ المُبَكِّرُ قُبَيْلَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ وَإِخْفَاءُ ذَلِكَ عَنِ النَّاسِ عَامَّةً كَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا كَلَّفَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ إِخْبَارُ المَدِينَةِ مَا تَقُومُ بِهِ قُرَيْشٌ فِي مَكَّةَ، وَمَا تَنْوِي عَمَلَهُ، وقدْ اسْتَمَرَّ في تَأْدِيَةِ عَمَلِهِ

عَلى أَحْسنِ صُورَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَيْشُهُ الضخمُ عَلَى أَبْوَابِ مَكَّةَ وَلا قِبَلَ لَها بِهِ، وَعِنْدَهَا أَشْهَرَ إسلاَمَهُ إِذِ انْتَهَى دَوْرُهُ، وَلَمْ تَعُدْ هُناكَ حَاجَةٌ لإِخْفَائِهِ، وانْضَوَى في صُفُوفِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رِضوانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَغَدا جُنْدِيّاً مِنْ جُنُودِ الإِسْلاَمِ يَسْعَى لِنَشْرِهِ وَالذَّبِّ عَنْهُ.

أَرْجُو أَنْ أُوَفَّقَ في إِبْرَازِ حَيَاةِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ، وَإِظْهَارِ بَعْضِ جَوانِبِ حَيَاتِهِ المَجْهُولَةِ، وأَسأَلُ اللَّهَ أَنْ يُسدِّدَ خُطَانَا، وأَنْ يُهَيِّءَ لَنَا الاقْتِدَاءَ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَحْبِهِ الكِرَامِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

كَانَ لِعَبْدِ المُطَّلِبِ بن هَاشِمٍ جَدِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، عَشْرَةٌ مِنْ الأَبْنَاءِ، وَسِتٌّ مِنَ البَنَاتِ مِنْ خَمْسِ نِسْوَةٍ، وَكَانَ العَبَّاسُ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، وَأُمُّهُ نُتَيْلَةُ بِنْتُ جَنَابِ بِنِ كُلَيْبٍ الَّتِي أَنجَبَتْ أَيْضَاً ضِراراً.

وُلِدَ العَبَّاسُ قَبْلَ عَامِ الفِيلِ بِثَلاثِ سَنَواتٍ أَيّ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلاثِ سَنَوَاتٍ، فَهُوَ أَقْرَبُ عُمُومَتِهِ إِلَيْهِ سِنَّاً. وَلَمَّا سُئِلَ العَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؟ فَقَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ، مَوْلِدُهُ بَعْدَ عَقْلِي، أُتِيَ إِلَى أُمِّي، فَقِيلَ لَهَا: وَلِدَتْ آمِنَةُ غُلاَمَاً، فَخَرَجَتْ بِي حِينَ أَصْبَحَتْ آخِذَةً بِيَدِي، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَمْصَعُ رِجْلَيْهِ فِي عَرَصَتِهِ، وَجَعَلَ النِّسَاءُ يِجْبِذْنَنِي عَلَيْهِ، وَيَقُلْنَ: قَبِّلْ أَخَاكَ.

كَانَ العَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَرِيفَاً، مَهِيباً، عَاقِلاً،

جَمِيلاً، أَبْيَضَ، بَضًّا، لَهُ ضَفِيرتَانِ، مَعْتَدِلَ القَامَةِ. وَوَصَفَهُ الذَّهَبِيُ فَقَالَ: بَلْ كَانَ مِنْ أَطْوَلِ الرِّجَالِ، وَأَحْسَنِهِمْ صُورَةً، وَأَبْهَاهُمْ، وَأَجْهَرِهِمْ صَوْتاً مَعَ الحِلْمِ الوَافِرِ، وَالسُّؤْدُدِ.

رُوِيَ أَنَهُ كَانَ لِلْعَبَّاسِ رَاعٍ يَرْعَى لَهُ عَلى مَسِيرَةِ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ فَإِذَا أَرَادَ مِنْهُ شَيْئاً صَاحَ بِهِ فَأَسْمَعَهُ حَاجَتَهُ[1].

وَكَانَ للعبَّاسِ ثَوبٌ لِعَارِي بَنِي هَاشِمٍ، وَجَفْنَةٌ لِجَائِعِهِمْ، وَمَنْظَرَةٌ لِجَاهِلِهِمْ، وَكَانَ يَمْنَعُ الجَارَ، وَيَبْذِلُ المَالَ، وَيُعْطِي فِي النَّوَائِبِ. وَكَانَ هُوَ الَّذي يَلي أَمْرَ بنِي هَاشِمٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ. وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ نَدِيمَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ.

وَمَعَ أَنَّ العَبَّاسَ كَانَ قَرِيبَ السِّنِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ الصِّلَةُ وَثِيقَةً بَيْنَهُمَا، وَالمَحَبَّةُ قَائِمَةً غَيْرَ أَنَّ العَبَّاسَ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَوْرٌ فِي الحَدِيثِ عَنِ الإِسلاَمِ فِي مَكَّةَ، لاَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤَيِّدِينَ وَلاَ بَيْنَ الأَعداءِ الَّذينَ عَادُوا الدَّعْوَةَ وَنَاصَبُوا أَهْلَهَا العُدْوَانَ، وَقَدْ سكَتَتْ عَنْهُ كُتُبُ السِّيرَةِ في هَذَا الدَّوْرِ رَغْمَ اللقَاءَاتِ الكَثِيرَةِ الخاصَّةِ

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/٩٥.

الَّتي كَانَ يَلْتقِي فِيْهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأمْرُ الَّذي يُشِيرُ إِلَى أنَّ لَهُ دَوْراً بَقِيَ غَامِضاً نَسْتَجْلِي بَعْضَه في الحَدِيثِ عَنْ إسلاَمِهِ، وَفجْأَةً يَبْرُزُ العَبَّاسُ فِي بَيْعَةِ العَقبَةِ الثَّانِيةِ.

في بَيْعَةِ العَقَبَةِ:

قَالَ عُوَيْمُ بنُ سَاعِدَةَ: لَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَال لِي سَعْدُ بنُ خَيْثَمَةَ وَمَعْنُ بنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرٍ: يَا عُوَيْمُ انْطَلِقْ بِنَا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِ فَإِنَّا لَمْ نَرَهُ قَطُّ وَقَدْ آمَنَّا بِهِ. فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ فَقِيلَ لِي: هُوَ فِي دَارِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَرَحَلْنَا عَلَيْهِ فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا لَهُ: مَتَى نَلْتَقِي؟ فَقَالَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ: إِنَّ مَعَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ مَنْ هُوَ مُخَالِفٌ لَكُمْ فَأَخْفُوا أَمْرَكُمْ حَتَّى يَنْصَدِعَ هَذَا الحَاجُّ وَنَلْتَقِي نَحْنُ وَأَنْتُمْ فَنُوَضِّحَ لَكُمُ الأَمْرَ فَتَدْخُلُونَ عَلَى أَمْرٍ بَيِّنٍ. فَوَعَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّيْلَةَ الَّتي فِي صُبْحِهَا النَّفْرُ الآخِرُ أَنْ يُوَافِيَهُمْ أَسْفَلَ العَقَبَةِ حَيْثُ المَسْجِدُ اليَوْمَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يُنَبِّهُوا نَائِماً وَلاَ يَنْتَظِرُوا غَائِباً.

فَخَرَجَ القَوْمُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَيْلَةَ النَّفْرِ الأوَّلِ بَعْدَ هَدْءٍ يَتَسَلَّلُونَ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى ذَلِكَ

المَوْضِعِ ومَعَهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَيس مَعَـهُ أَحَـدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرُهُ، وَكَانَ يَثِقُ بِهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُـوا كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّـمَ العَبَّاسُ بـنُ عَبْدِ المُطَّلِـبِ فقَـالَ: يَا مَعْشَــرَ الخَزْرَجِ ، وَكَانَتْ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ تُدْعَى الخَزْرَجَ. إِنَّكُمْ قَدْ دَعَوْتُمْ مُحَمَّدَاً إِلَى مَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمُحَمَّدُ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ فَي عَشِيرَتِهِ يَمْنَعُهُ واللَّهِ مَنْ كَانَ مِنَّا عَلَى قَوْلِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَّا عَلَى قَوْلِهِ مَنَعَةً لَلْحَسَبِ وَالشَّرَفِ، وَقَدْ أَبَى مُحَمَّدَاً النَّاسُ كُلُّهُمْ غَيْرُكُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلَ قُوَّةٍ وَجَلَـدٍ وَبَصَـرٍ بِالْحَـرْبِ وَاسْتِقْـلاَلٍ بَعَدَاوَةِ العَرَبِ قَاطِبَةً فَإِنَّهَا سَتَرْمِيكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَارْتَؤُوا رَأْيكُمْ وَأتَمِرُوا أَمْرَكُمْ وَلاَ تَفْتَرِقُوا إِلاَّ عَنْ مَلأٍ مِنْكُمْ وَاجْتِمَاعٍ فَإِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ أَصْدَقُهُ، وَأُخْرَى، صِفُوا لِيَ الحَرْبَ كَيْفَ تُقَاتِلُونَ عَدُوَّكُمْ. قَالَ: فَأُسْكِتَ القَوْمُ وَتَكَلَّـمَ عَبْدُ اللَّهِ بـنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ فقَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ أَهْلُ الحَـرْبِ غُذِّينَـا بِهَـا وَمُرِّنَّا عَلَيْهَا وَوَرِثْنَاهَا عَنْ آبَائِنَا كَابِراً فَكَابِراً، نَرْمِي بالنَّبْلِ حَتَّى تَفْنَى، ثُمَّ نُطاعِنُ بِالرِّمَـاحِ حَتَّـى تُكْسَـرَ الرِّمَـاحُ، ثُمَّ نَمْشِـي بِالسُّيُوفِ فَنُضَارِبُ بِهَا حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا أَوْ مِنْ عَدُوِّنَا. فَقَالَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِـبِ: أَنْتُـمْ أَصْحَـابُ حربٍ فَهَـلْ فِيكُمْ دُرُوعٌ؟ قَالُوا: نَعَم شَامِلَةٌ. وَقَـالَ البَـرَاءُ بنُ مَعْـرُورٍ: قَدْ سَمِعْنا مَا قُلْتَ، إِنَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ في أَنْفُسِنَا غَيْرَ مَا يُنْطَقُ بِهِ

لَقُلْنَاهُ وَلَكِنَّا نُرِيدُ الوَفَاءَ وَالصِّدْقَ وَبَذْلَ مُهَجِ أَنْفُسِنَا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَتَلا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القُرْآنَ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلى اللَّهِ وَرَغَّبَهُمْ فِي الإِسْلاَمِ وَذَكَرَ الَّذِيْ اجْتَمَعُوا لَهُ، فَأَجَابَهُ البَرَاءُ بنُ مُعَرُورٍ بِالإِيمَانِ وَالتَّصدِيقِ فَبَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، عَلَى ذَلِكَ، وَالعَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ آخِذٌ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُؤَكِّدُ لَهُ البَيْعَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلى الأَنْصَارِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ العَبَّاسَ كَانَ آخِذاً بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَخْفُوا جَرْسَكُمْ فَإِنَّ عَلَيْنَا عُيُوناً، وَقَدِّمُوا ذَوي أَسْنَانِكُمْ فَيَكُونُونَ الَّذِينَ يَلُونَ كَلاَمَنَا مِنْكُمْ فَإِنَّا نَخَافُ قَوْمَكُمْ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ إِذَا بَايَعْتُمْ فَتَفَرَّقُوا إِلَى مَجَالِكُمْ وَاكْتُمُوا أَمْرَكُمْ فَإِنْ طَوَيْتُمْ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَنْصَدِعَ هَذَا المَوْسِمَ فَأَنْتُمُ الرِّجَالُ وَأَنْتُمْ لِمَا بَعْدَ اليَوْمِ. فَقَالَ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ: يَا أَبَا الفَضْلِ اسْمَعْ مِنَّا. فَسَكَتَ العَبَّاسُ فَقَالَ البَرَاءُ: لَكَ وَاللَّهِ عِنْدَنَا كِتْمَانُ مَا تُحِبُّ أَنْ نَكْتُمَ وَإِظْهَارَ مَا تُحِبُّ أَن نُظْهِرَ وَبَذْلَ مُهَجِ أَنْفُسِنَا وَرِضَا رَبِّنَا عَنَّا، إِنَّا أَهْلَ حَلْقَةٍ وَافِرَةٍ وَأَهْلَ مَنَعَةٍ وَعِزٍّ، وَقَدْ كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ

حَجَرٍ وَنَحْنُ كَذَا فَكَيْفَ بِنَا حِينَ بَصَّرَنَا اللَّهُ مَا أَعْمَى عَلَى غَيْرِنَا وَأَيَّدَنَا بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ابْسُطْ يَدَكَ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ، وَيُقَالُ: أَبُو الهَيْثَمِ بنِ التَيِّهَانِ، وَيُقَالُ: أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ.

وَفي رِوَايَةٍ. انْطَلَقَ النَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِالعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَكَانَ العَبَّاسُ ذَا رَأْيٍ، إِلى السَّبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ عِنْدَ العَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَالَ العَبَّاسُ: لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكُمْ وَلاَ يُطِلِ الخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ عَيْناً وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ. فَقَالَ قَائِلُهُمْ وَهُوَ أَبُو أُمَامَة أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ: يَا مُحَمَّدُ سَلْ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ ثُمَّ سَلْ لِنَفْسِكَ وَلأَصْحَابِكَ مَا شِئْتَ؟ثمَّ أَخْبِرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكُمْ إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَسْأَلُكُمْ لِي وَلأَصحابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا تَمْنَعُونَ أَنْفُسَكُمْ، قَالَ: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ: الجَنَّةَ، قَالَ: فَلَكَ ذَلِكَ.

رُؤْيَا عَاتِكَةَ:

وَابْتَدَأَ المُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ يَتَّجِهُونَ نَحوَ المَدِينَةِ مُهَاجِرِينَ،

ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَقِيَ العَبَّاسُ فِي مَكَّةَ لاَ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ وَلاَ يُدْرَى لَهُ دَوْرٌ حتَّى قُبَيْلَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ. إِذْ رَأَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكَّةَ بِثَلاَثِ لَيَالٍ، رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا، فَبَعَثَتْ إِلَى أَخِيهَا العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْظَعَتْنِي، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى قَومِكَ مِنْها شَرٌّ وَمُصِيبَةٌ، فَاكْتُمْ عَنِّي مَا أُحَدِّثُكَ بِهِ، فَقَالَ لَهَا: وَمَا رَأَيْتِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَاكِباً أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ، حَتَّى وَقَفَ بَالأَبْطَحِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَلاَ انْفِرُوا يَالِغُدُرٍ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلاَثٍ، فَأَرَى النَّاسَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ وَالنَّاسُ يَتْبَعُونَهُ، فَبَيْنَما هُمْ حَوْلَهُ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الكَعْبَةِ، ثُمَّ صَرَخَ بِمِثْلِهَا: أَلاَ انْفِرُوا يَا لِغُدُرٍ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلاَثٍ، ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ، فَصَرَخَ بِمِثْلِها. ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الجَبَلِ ارفَضَّتْ، فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكَّةَ، وَلاَ دَارٌ إِلاَّ دَخَلَتْها مِنْها فِلْقَةٌ، قَالَ العَبَّاسُ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا! وَأَنْتِ فَاكْتُمِيها، وَلاَ تَذْكُرِيها لأَحَدٍ.

ثُمَّ خَرَجَ العَبَّاسُ، فَلَقِيَ الوَلِيدَ بنَ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ

صَدِيقاً لَهُ، فَذَكَرهَا لَهُ، وَاسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهَا. فَذَكَرهَا الوَلِيدُ لأَبِيهِ، عُتْبَةَ، فَفَشَا الحَدِيثُ بِمَكَّةَ، حَتَّى تَحدَّثَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِها.

قَالَ العَبَّاسُ: فَغَدَوْتُ لأَطوفَ بِالبَيتِ، وَأَبُو جَهْلِ بنِ هِشَامٍ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ قُعُودٌ يَتحَدَّثُونَ بِرُؤْيَا عَاتِكَةَ، فَلَّما رَآنِي أَبُو جَهْلٍ قَالَ: يَا أَبا الفَضْلِ إِذا فَرَغتَ مِنْ طَوَافِكَ فَأَقْبِلْ عَلَيْنَا، فَلَمَّا فَرَغْتُ أَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ: يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، مَتَى حَدَثَتْ فِيكُمْ هَذِهِ النَّبِيَّةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تِلْكَ الرُّؤْيا الَّتِي رَأَتْ عَاتِكَةُ؛ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا رَأَتْ؟ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ يَتَنَبَّأَ رِجَالُكُمْ حَتَّى تَتنَبَّأَ نِسَاؤُكُمْ! قَدْ زَعَمَتْ عَاتِكَةُ فِي رُؤْيَاهَا أَنَّهُ قَالَ: انِفرُوا فِي ثَلاَثٍ، فَسَنَتَربَّصُ بِكُمْ هَذِهِ الثَلاَثَ، فَإِنْ يَكُ حَقَّاً مَا تَقُولُ فَسَيَكُونُ، وَإِنْ تَمْضِ الثَلاَثُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، نَكْتُبُ عَلَيْكُمْ كِتَاباً أَنَّكُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ بَيْتٍ في العَرَبِ. قَالَ العَبَّاسُ: فَوَاللَّهِ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ كَبِيرٌ، إِلاَّ أَنِّي جَحَدْتُ ذَلِكَ، وَأَنْكَرْتُ أَنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئاً. قَالَ: ثُمَّ تَفَرَّقْنَا فَلَمَّا أَمْسَيْتُ، لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَني عَبْدِ المُطَّلِبِ إِلاَّ أَتَتْني، فَقَالَتْ: أَقْرَرْتُم لِهَذا الفَاسِقِ الخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ في رِجَالِكُمْ، ثُمَّ تَنَاوَلَ النِّساءَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ غَيرٌ

لِشيءٍ مِمَّا سَمِعْتَ! قَالَ: قُلْتُ: قدْ وَاللَّهِ فَعَلْتُ، مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْه مِنْ كَبيرٍ. وَأَيم ِ اللَّهِ لأَتَعَرَّضَنَّ لَهُ، فَإِنْ عَادَ لأكَفِينَّكُنَّهُ.

قَالَ: فَغَدَوْتُ فِي اليَوْم ِ الثَالِثِ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ، وَأَنَا حَدِيدٌ مُغْضَبٌ أَرَى أَنِّي قَدْ فَاتَنِي مِنْه أَمْرٌ أُحِبُّ أَنْ أُدْرِكَه مِنْهُ. قَالَ: فَدَخَلْتُ المَسْجِدَ فرأَيْتُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَمْشِي نَحْوَهُ أَتَعَرَّضُهُ، لِيَعُودَ لِبَعْضِ ِ مَا قَالَ فَأَقَعُ بِهِ، وَكَانَ رَجُلاً خَفِيفاً، حَدِيدَ الوَجْهِ، حَدِيدَ اللِّسَانِ، حَدِيدَ النَّظَرِ. قَالَ: إِذْ خَرَجَ نحو بَابِ المَسْجِدِ يَشْتَدُّ. قَالَ: فَقُلْتُ في نَفْسِيْ: مَا لَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ! أَكُلُّ هَذَا فَرَقٌ مِنِّي أَنْ أُشاتِمَهُ! قَالَ: وَإِذا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعُ: صَوْتُ ضَمْضَم ِ بن ِ عَمْرٍو الغِفَارِيِّ، وَهُوَ يَصْرَخُ بِبَطْن ِ الوَادِي وَاقِفاً عَلى بَعِيرِهِ، قَدْ جَدَّعَ بَعِيرَهُ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ، وَشَقَّ قَمِيصَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: يا مَعْشَرَ قُرَيْش ٍ، اللَّطِيمَةَ، اللَّطِيمَةَ، أَمْوالَكُمْ مَعَ أَبِي ِ سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ في أَصْحَابِهِ، لاَ أَرَى أَنْ تُدْرِكُوها، الغَوْثَ الغَوْثَ. قالَ: فَشَغَلَنِي عَنْهُ وَشَغَلَهُ عنِّي مَا جَاءَ مِنَ الأَمْرِ.

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ سِراعاً، وَقَالُوا: أَيَظُنُّ مُحَمَّدُ وَأَصْحابُهُ أَنْ تَكُونَ كَعِيرِ ابن ِ الحَضْرَمِيِّ، كلاَّ وَاللَّهِ لَيَعْلَمَنَّ غَيرَ ذَلِكَ[١].

---

(١) سيرة ابن هشام.

وَلَمَّا كانَتْ قُرَيْشٌ بِمَرِّ الظَهْرانِ في طَرِيقِها إلى بَدْرٍ هَبَّ أَبُو جَهْلٍ مِنْ نَوْمِهِ فَصاحَ فَقَالَ: أَلاَ تَبًّا لِرَأْيِكُمْ مَاذَا صَنَعْتُمْ، خَلَّفْتُمْ بَنِي هَاشِمٍ وَرَاءَكُمْ فَإِنْ ظَفِرَ بِكُمْ مُحَمَّدٌ كَانُوا مِنْ ذَلِكَ بِنَحْوِهِ، وَإِنْ ظَفِرْتُم بِمُحَمَّدٍ أَخَذُوا آثَارَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ أَوْلاَدِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، فَلاَ تَذَرُوهُمْ فِي بَيْضَتِكُمْ وَفِنَائِكُمْ وَلَكِنْ أَخْرِجُوهُمْ مَعَكُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ غَنَاءٌ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ فَأَخْرَجُوا العَبَّاسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ وَنَوْفَلاً وَطَالِباً وَعَقِيلاً كُرْهاً[1].

في بَدْرٍ:

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ مِنَّا بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَدْ أَسْلَمُوا فَكَانُوا يَكْتُمونَ إِسْلاَمَهُمْ وَيخَافُونَ يُظْهِرُونَ ذَلِكَ فَرَقاً مِنْ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِمْ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَيُوثِقُوا كَمَا أَوْثَقَتْ بَنُو مَخْزُومٍ سَلَمَةَ بنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ بنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَغَيْرِهِما فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، لأَصحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ العَبَّاسَ وَطَالِباً وَعَقِيلاً وَنَوْفَلاً وَأَبا سُفْيَانَ[2] فَلاَ تَقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أُخْرِجُوا مُكْرَهِينَ[3].

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٠.

(٢) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(٣) طبقات ابن سعد.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَيْضَاً أَنَّ النَّبِيَّ، عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ لأِصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: إِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالاً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهَاً لاَ حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَداً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلاَ يَقْتُلْهُ، مَنْ لَقِيَ العَبَّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمِّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَلاَ يَقْتُلْهُ فإِنَّما أُخْرِجَ مُسْتَكْرِهَاً. قَالَ: فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبيعةَ: نَقْتُلُ آباءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وإِخْوانَنا وَعَشَائِرَنا ونَتْرُكُ العَبَّاسَ؟ وَاللَّهِ لَئِنْ لَقيتُهُ لأُلَحِّمَنَّهُ السَّيْفَ. قَالَ: فَبَلَغَتْ مَقَالَتُهُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: يَا أَبَا حَفْصٍ، قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لأَوَّلُ يومٍ كنَّاني فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَبِي حَفْصٍ، أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ بالسَّيْفِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي وَلأَضْرِبْ عُنُقَ أَبِي حُذَيْفَةَ بِالسَّيْفِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ. قَالَ وَنَدِمَ أَبُو حُذَيْفَةَ على مَقَالَتِهِ فَكَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَنا بآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ وَلاَ أَزَالُ منها خَائِفاً إِلاَّ أَنْ يُكَفِّرُها اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنِّي بالشَّهَادَةِ. فَقُتِلَ يَوْمَ اليمامَةِ شَهِيداً(١).

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ الفَاصِلَةُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ،

---

(١) انظر الطبقات وسيرة ابن هشام.

وَحَمِيَ الوَطِيسُ وَلَمْ يُقَاتِلِ العَبَّاسُ، وَلَكِنَّهُ أُسِرَ فِيمَنْ أُسِرَ، وَكَانَ الَّذِي أَسَرَهُ أَبُو اليَسَر كَعْبُ بنُ عَمْروٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَكَانَ أبو اليَسرِ رَجُلاً مَجْمُوعَاً وَكَانَ العَبَّاسُ رَجُلاً جَسِيماً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأَبِي اليَسَرِ: كَيْفَ أَسَرْتَ العَبَّاسَ يَا أَبا اليَسرِ؟. فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَا رَأَيْتُهُ قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ، هَيْئَتُهُ كَذَا وَهيْئَتُهُ كَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ[1].

وَقَالَ أَبُو اليَسَرِ: نَظَرْتُ إِلَى العَبَّاسِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ وَاقِفٌ كَأَنَّهُ صَنَمٌ، وَعَيْنَاهُ تَذْرُفَانِ. فَقُلْتُ: جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ ذِي رَحِمٍ شرّاً! أَتُقَاتِلُ ابنَ أَخِيكَ مَعَ عَدُوِّهِ؟ قَالَ: مَا فَعَلَ، أَقُتِلَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ أَعَزُّ لَهُ وَأَنْصَرُ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: مَا تُرِيدُ إِلَيَّ؟ قُلْتُ: الأَسْرُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ قَتْلِكَ. قَالَ: لَيسَتْ بِأَوَّلِ صِلَتِهِ، فَأَسَرْتُهُ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

فالعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ قُوَّتِهِ الَّتي عُرِفَ بِهَا،

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٨١.

وَشَجَاعَتِهِ الَّتي اشْتُهِرَ بِها، لَمْ يُقَاتِلْ، وَلم يُشْهِرْ سَيْفاً، وَمَا ذَلِكَ عَنْ جُبْنٍ وَلاَ ضَعْفٍ وَلَكِنَّهُ لا يُرِيدُ أَنْ يُقاتِلَ ابنَ أَخيهِ وَأَصْحابَهُ من إِخوانِهِ المُسلمينَ، وَلَو كانَ لاَ يُحِبُّ أَنْ يُحارِبَ ابنَ أَخيه فَقَطْ لَتجَنَّبَهُ فِي القِتَالِ، وَأَعْمَلَ السَّيْفَ في غَيْرِهِ، إِلاّ أَنَّهُ لا يَرْغَبُ في حَرْبِ أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمينَ.

فِي الأَسْرِ:

لَقَدْ كَانَ العَبَّاسُ، رَضي اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ الأَسْرى، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَخْشى عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُصَابَ بِأَذى، وَعَمَلُهُ في سَبيلِ اللَّهِ. فَسَهِرَ النَّبيُّ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَتَهُ فقَالَ لَهُ بَعضُ أَصْحَابِهِ: مَا أَسْهَرَكَ يا نَبيَّ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَنِينُ العَبَّاسِ. فَقَامَ رَجُلٌ فَأَرْخَى مِنْ وَثَاقِـهِ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا لِي لاَ أَسْمَعُ أَنِينَ العَبَّاسِ؟ فقَالَ رَجُلٌ مِنَ القومِ: إِنِّي أَرْخَيْتُ مِنْ وَثاقِهِ شَيْئاً، قَالَ: فَافْعَلْ ذَلِكَ بِالأَسَارَى كُلِّهِمْ[1].

واسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، أَصْحابَهُ في مَوْضُوعِ الأَسْرَى، فَسَأَلَ أَبا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَلِيّاً،

(١) طبقات ابن سعد.

وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ رَوَاحَـةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بـنَ جَحْشٍ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ، فقَالَ أَبُو بكْرٍ: هؤُلاَءِ بَنُو العَمِّ والعشيرةِ والإِخْوانِ، قَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الظَفَرَ ونَصَرَكَ عَلَيْهِمْ، أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيهِمْ وَتَأْخُـذَ الفِدَاءَ مِنْهُمْ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنا مِنْهُـمْ قوة لَنَـا عَلَـى الكُفَّـارِ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ بِكَ فَيَكُونُون لَنَا عَضُداً[1].

إِنَّ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْرِفُ وَحْدَهُ الدَّوْرَ الذي يَقُومُ بِهِ العَبَّاسُ فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَقْتَرِحَ القَتْلَ، وَلاَ يَعْـرِفَ هَذا سِواهُ فاْقتَرحُوا القَتْلَ لأَنَّ أَكْثَرَ الأَسَارَى مِنَ الأَعْدَاءِ الأَلِدَّاءِ الَّذِينَ ذَاقَ مِنْهُمُ المُسْلِمُونَ الأَذَى الكَثِيرَ في مَكَّةَ يَوْمَ كَانُوا فِيها.

وَقَبِلَ رَسُولُ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيهِ وَسَلَّـمَ، الفِـدَاءَ مِنَ الأَسْـرَى، فَغَـدا مَنْ فَدَا نَفْسَـهُ وَمِنْهُـمْ مَنْ أَرْسَـلَ ذَووهُ في فِـدَائِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، للعبَّاسِ: «افـدِ نَفْسَـكَ، وابـنَ أَخيكَ عَقِيلاً، وَنَوْفَلَ بـنَ الحـارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بنَ جَحْدَمٍ». فَأَبَى وَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ مُسلِماً قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّما استكْرَهُونِي. قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقّاً، فَاللَّهُ يُجزيكَ بِذَلِكَ، وأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنا فافْدِ نَفْسَكَ».

---

(١) السيرة الحلبية.

وَكَانَ رسُولُ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، قَدْ عَرَفَ أَنَّ العَبَّاسَ أُخِذَ مَعَهُ عِشْرين أُوقيةً ذَهَباً. فَقَالَ: يا رسُولَ اللَّهِ، احْسُبْهـا لي مِنْ فِدائـي. قَالَ: «لاَ، ذَاكَ شيءٌ أَعْطَانَـا اللَّـهُ مِنْكَ». قَالَ: فَإِنَّهُ لَيْسَ لي مَالٌ! قَالَ: «فَـأَيْنَ المَـالُ الَّـذي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ عِنْدَ أُمِّ الفَضْلِ، وَلَيْس مَعَكُمـا أَحَـدٌ غيرُكمـا، فَقُلْـتَ: إِنْ أُصِبْـتُ فِي سَفَـرِي فَلِلْفَضْـلِ كَذَا، لِقُثَـمَ كَذَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا؟».

قَالَ: فَوَالَّذي بَعَثَكَ بِالحقِّ مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنَ النَّـاسِ غَيرُها، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ[1].

إِنَّ دَوْرَ العبَّاسِ في مَكَّةَ لم يَنْتَهِ بَعْدُ، لِذَا فَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، عِنْدَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ «اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقَّاً، فاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كانَ عَلينا فَافْدِ نَفْسَكَ. وَلاَ يُمكِنُ لِرسُولِ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَقُولَ غَيْرَ ذَلِكَ، لأَنَّهُ لَوْ قَالَ لانْكَشَفَتِ الخِطَّةُ وَلَمْ يَعُدِ العَبَّـاسُ قَادِراً أَنْ يؤَدِّيَ أيَّ دَوْرٍ، فَلاَ بُدَّ مِنَ التَّمْوِيهِ كَيْ تَبْقَى الخِطَّةُ مُحكَمَةً.

---

(١) سير أعلام النبلاء.

وَهَذا كُلُّهُ يَدُلُّ على أَنَّ العَبَّاسَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَأَعْتَقِدُ قَبْلَ العَقَبَةِ. وَإِنَّ مُخاطَبَةَ البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ لَهُ يَوْمَ العَقَبَةِ مَا يُنْبِيءُ عَلَى ذَلِكَ [وَقَدْ كُنَّا على مَا كُنَّا عليه من عِبَادَةِ حَجَرٍ وَنَحْنُ كَذَا فَكَيْفَ بِنَا حِينَ بَصَّرَنَا اللَّهُ مَا أَعْمَى عَلَى غَيْرِنَا...]. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى قِدَمِ إِسْلاَمِهِ مَا جَاءَ فِي طَبَقَاتِ ابنِ سَعْدٍ رِوَايَةً عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَسْلَمَ العَبَّاسُ بِمَكَّةَ قَبْلَ بَدْرٍ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ الفَضْلِ مَعَهُ حِينَئِذٍ، وَكَانَ مُقَامُهُ بِمَكَّةَ، إِنَّهُ كَانَ لاَ يُغَبِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَكَّةَ خَبَرَاً يَكُونُ إِلاَّ كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ، وَكَانَ مَنْ هُنَاكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَتَقَوَّوْنَ بِهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ لَهُمْ عَوْناً عَلَى إِسْلاَمِهِمْ. وَلَقَدْ كَانَ يَطْلُبُ أَنْ يَقْدُمَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ: إِنَّ مُقَامَكَ مُجَاهَدٌ حَسَنٌ، فَأَقَامَ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَطْعَمَهُ بِخَيْبَرَ مائتي وَسَقٍ تَمْرٍ في كُلِّ سَنَةٍ، وَالعَبَّاسُ لَمْ يَزَلْ بِمَكَّةَ لَمْ يُعْلِنْ

---

(١) الطبقات ٤/ ٣١.

إِسْلاَمَهُ، فَكَيْفَ يُطْعِمُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنْسَاناً مُشْرِكاً؟.

إِنَّ العَبَّاسَ كَانَ بِمَكَّةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَيْبَرَ قَدْ فَتَحَها، وَقَدِمَ الحَجَّاجُ بنُ عَلاَطِ السَّلَمِيّ مَكَّةَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا أَحَبُّوا أَنَّهُ قَدْ ظُفِرَ بِهِ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ فَسُرُّوا بِذَلِكَ، وَأَقْطَعَ العَبَّاسَ خَبَرُهُ وَسَاءَهُ وَفَتَحَ بَابَهُ وَأَخَذَ ابنَهُ قُثَمَ فَجَعَلَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا قُثَم يا قُثَم يَا شِبْهَ ذِي الكَرَمِ

حَتَّى جَاءَهُ الحَجَّاجُ فَأَخْبَرَهُ بِسَلاَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ قَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ وَغَنَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا فيها فَسُرَّ بِذَلِكَ العَبَّاسُ وَلَبِسَ ثِيابَهُ وَغَدا إِلى المَسْجِدِ فَدَخَلَهُ وَطَافَ بِالبَيْتِ وَأَخْبَرَ قُرَيْشاً بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ الحَجَّاجُ مِنْ سَلاَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ فَتَحَ خَيْبَرَ وَمَا غَنَّمَهُ اللَّهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَكُبِتَ المُشْرِكُونَ وَسَاءَهُمْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ الحَجَّاجَ قَدْ كَانَ كَذَبَهُمْ في خَبَرِهِ الأَوَّلِ، وَسَرَّ ذَلِكَ المُسْلِمينَ الَّذِينَ بِمكةَ وَأَتُوا العَبَّاسَ فَهَنَّأُوهُ بِسَلاَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ خَرَجَ العَبَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدينَةِ فَأَطْعَمَهُ بِخَيْبَرَ مائتي وَسَقَ تَمْرٍ في كُلِّ سَنَةٍ، ثُمَّ

خَرَجَ مَعَهُ إِلَى مكَّةَ[1] فَشَهِدَ فَتْحَ مكَّةَ وَحُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ وَتَبُوكَ، وَثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ في أَهْلِ بَيْتِهِ حِينَ انْكَشَفَ النَّاسُ عَنْهُ[2].

إِذَنْ فَالعَبَّاسُ قَدْ آمَنَ مُنْذُ مُدَّةٍ وَبَقِيَ في مَكَّةَ في مُهِمَّةٍ يُؤَدِّيها وَدَوْرٍ يَقُومُ بِهِ. فَلَمَّا انتَهَى دَوْرُهُ هَاجَرَ. فَالقِيادَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَضَعَ عُيُوناً بَيْنَ أَعْدائِها، وَلاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ هَذِهِ العيونَ سِوى القِيادَةِ لأَنَّ القَوَاعِدَ لَوْ عَلِمَتْ ذَلِكَ لاَنْكَشَفَتْ الخِطَّةُ، وَضَاعَت الفَائِدَةُ المرجُوَّةُ والمُرْسُومَةُ مِنْ قِبَلِ القيادَةِ. وَرُبَّما يَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنَّ الوَحْيَ يُمكِنُ أَنْ يُنْبِىءَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَخْبَارِ قُرَيْشٍ كُلِّها. وَلَكِنَّ الرِّسَالَةَ لَيْسَتْ لِمَرْحَلَةِ النُّبُوَةِ فَقَطُ وَإِنَّما لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ المَرَاحِلِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْه السَّلامُ، قُدْوَةٌ لِلمُسْلِمِينَ جَميعاً في كُلِّ أَدْوَارِ حَيَاتِهِمْ لاَ لأَصْحَابِهِ فَحَسْبُ، فَنَحْنُ الَّذِينَ يَجِبُ أَنْ نَسيرَ عَلَى خُطَاهُ وَنَتَّبعَ نَهْجَهُ فَإِذَا كَانَ الوَحْيُ يُطْلِعُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، عَلَى أَخْبَارِ أَعْدَائِهِ فَمَنْ

---

(١) كان النبيُّ، صلَّى الله عليه وسلم، في طريقه الى فتح مكة فالتقى معه، فتابع أهل العباس سيرهم إلى المدينة، ورجع العباس مع رسول اللَّه، صلَّى الله عليه وسلم، فشهد معه فتح مكة.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٧ ـ ٧١٨

يُطْلِعُنَا عَلَى أَنْبَاءِ خُصُومِنَا، وَقَدِ انقَطَعَ الوَحْيُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إِنَّ الإِسْلاَمَ قَدْ نَزَلَ لِيُطَبَّقَ بِجُهُودِ البَشَرِ وَمُمَارَسَتِهِمْ لاَ بِالمُعْجِزَاتِ، وَقَدْ كَانَ مَلَكٌ وَاحِدٌ في مَعْرَكَةِ بَدْرٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزَلزِلَ الأَرْضَ كُلَّها بِالكُفَّارِ، وَيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ جَمِيعَهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ نِهَايَةُ المُشْرِكِينَ عَلى يَدِ المُسْلِمِينَ لا بِالمُعْجِزَاتِ وَالقُوَّةِ الخَارِقَةِ. وَعَلى المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَسْتَعِدُّوا الاستعدَادَ كُلَّهُ وَيَبْذلُوا الجُهْدَ كُلَّهُ، وَيَطْلِبُوا النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَيَنْصُرُوهُ في تَطْبِيقِ مِنْهَجِهِ عَلى أَنْفُسِهِمْ وفي الأَرْضِ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ. وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلى اللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ. وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ[1]﴾ . وَكَذَلِكَ فَإِنَّ القِيَادَةَ تُخْفِي عَلى القَواعِدِ النَّواحِيَ الْعَسْكَرِيَّةَ كَيْ لاَ يَتَسَرَّبُ الأَمْرُ إِلى الأَعْداءِ

---

(١) سورة الأنفال ٦٠ ـ ٦٢.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَرَادَ السَّيْرَ إِلى جِهَةٍ غَازِياً وَرَّى عَنْها، وَأَنَّهُ حِينَ أَرادَ التَّوَجُّهَ إِلَى مَكَّةَ لِفَتْحِها لَمْ يُعْلِنْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ تُحَرِّكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّة: أَأَمَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ تُجَهِّزُوهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَتَجَهَّزَ؛ قَالَ: فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟ قَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالجِدِّ والتَّهَيُّؤِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ خُذِ العُيُونَ والأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَها فِي بِلادِها.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَمَا عَلِمَ النَّاسُ وَجْهَةَ رَسُولِ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، كَتَبَ حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بِالخَبَرِ إِلى قُرَيْشٍ وَأَرْسَلَ الكِتَابَ مَعَ امرأةٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ والزُّبَيْرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، فِي أَثَرِ المرأةِ فَأَعَادَاهَا فَاسْتَخْرَجَتِ الكِتَابَ مِنْ بَيْنِ ضَفَائِرِها. مَعَ العِلْمِ أَنَّ حَاطِبَ بنَ أَبِي بَلْتَعَةَ مِنْ صَحابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، الكِرَامِ، وَمِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ.

وَالخَطَأُ يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ دَائِمَاً، وَالْمَوَاضِعُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الخَطَأُ كَثِيرَةٌ، وَالمَوَاقِعُ الَّتِي تَزِلُّ فيهَا الأَقْدَامُ شَتَّى، والمَواطِنُ الَّتِي تَضْعُفُ فيها النُّفُوسُ البَشَرِيَّةُ مُتَعَدِّدَةٌ، فَالسِّرِيَّةُ يَتَجَنَّبُ بِهَا المَرْءُ هَذَا كُلَّهُ. لِذَا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُطْلِعْ أَحَداً عَلَى دَوْرِ العَبَّاسِ سِوى أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِهَذَا فَقَدْ بَقِيَ الأَمْرُ غَامِضَاً وَإِنْ كَانَتِ الأَحْداثُ كُلُّها تُشِيرُ إِلَيْهِ حَسْبَمَا يَتَراءَى لِيَ أَوْ هَكَذَا أَرَى. فَالقِيَادَاتُ الَّتِي تُطْلِعُ قَواعِدَهَا عَلَى مُخَطَّطَاتِها وَسَيْرِ عَمَلِهَا وَتُوَضِّحُ لَهُمُ الطَرِيقَ كَيْ يَكُونُوا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَيَعْرِفُوا إِلَى أَيْنَ يَتَّجِهُونَ! وَلا يكونوا مِثْلَ بَعْضِ الجَمَاعَاتِ الَّتِي تَسِيرُ كَالسَّوَائِمِ بِإِشَارَةِ رَاعِيها إِنَّ هَذِهِ القِيادَاتِ يَجِبُ إِنْ تُخْفِيَ الجَوانِبَ العَسْكَرِيَّةَ وَعُيُونَهَا بَيْنَ أَعْدَائِهَا وَإِلاَّ فَلاَ مَعْنَى لِتَخْطِيطِها وَلاَ مَعْنَى لِتَنْظِيمِها، أَوْ تَكُونُ قَدْ أَلْقَتْ شَبَابَهَا فِي مَخَالِبِ خَصْمِها بِجَهْلِها.

وَإِنَّ الشَّبَابَ الَّذِينَ يُتَابِعُونَ القِيَادَةَ فِي هَذَا الجَانِبِ، وَيَتَحَدَّثُونَ فِي هَذَا المَوْضُوعِ دَائِمَاً يَجِبُ الانْتِبَاهَ عَلَيْهِمْ وَالحَذَرَ مِنْهُمْ فَقَدْ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ حَمَاسَةً وَرُبَّمَا ظَهَرَ مِنْهُمُ التَّهَوُّرُ والغُرُورُ فَأَوْقَعُوا الجَمَاعَةَ فِيمَا تَحْذَرُ مِنْهُ وَتَتَّقِيهِ هَذَا إِذَا

أَحْسَنَّا الظَنَّ . وَرُبَّمَا كَانَ حَدِيثُهُمْ الرَّغْبَةَ فِي الوُصُولِ إِلَى المَنْصِبِ، وَهُنَا يَكْمُنُ الخَطَرُ فَالعَمَلُ كُلُّهُ لِلْمَصْلَحَةِ الذَّاتِيَّةِ وَوَرَاءَ المَكَاسِبِ. يَنْظُرُونَ إِلَى الوُصُولِ دُونَ أَنْ يُفَكِّرُوا فِيمَا تَؤُولُ إِلَيْهِ النَّتِيجَةَ. وَحَالَةٌ ثَالِثَةٌ نَتَوَقَّعُهَا هِيَ غَرْسُ فِرْقَةٍ فِي الجَمَاعَةِ لِيَسِيرَ بِهَا إِلى الهَاوِيَةِ وَيُنَفِّذَ العَدُوُّ مُخَطَّطَهُ عَنْ طَرِيقِهَا لِتَجُرَّهَا إِلَى مَعْرَكَةٍ غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ وَوَقْتٍ غَيْرِ مُنَاسِبٍ.

وَلْنَعُدْ إِلَى العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نُتَابِعُ رِحْلَةَ حَيَاتِهِ:

الفِدَاءُ:

قَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّم: إِئْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُك لابنِ أَخِينا العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فِدَاهُ، فقَال: لاَ، ولاَ دِرْهَماً.

وَفَدَى العَبَّاسُ نَفْسَهُ وَابنَ أَخِيهِ عَقِيلاً بِثمانين أوقية ذَهبٍ، وَيُقالُ: أَلْفَ دِينارٍ. قَالُوا: وَخَرَجَ العَبَّاسُ إِلى مَكَّةَ فَبَعَثَ بِفِدَائِهِ وَفِدَاءِ ابنِ أَخيه وَلَمْ يَبْعَثْ بِفِدَاءِ حَلِيفِهِ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَسَّانَ بنَ ثَابِتٍ فَأَخْبَرَهُ وَرَجَعَ أَبُو رَافِعٍ فَكَانَ رَسُولَ العَبَّاسِ بِفِدَائِهِ فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: مَا

قالَ لَكَ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الأَمْرَ فَقَالَ: وَأَيُّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا؟ احْمِلِ البَاقِي قَبْلَ أَنْ تَحُطَّ رَحْلَكَ، فَحَمَلَهُمْ فَفَدَاهُمُ العَبَّاسُ.

وَنَزَلَتْ في أَسْرَى بَدْرٍ الآيَةَ الكَرِيمَةَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُم خيراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]. كَانَ العَبَّاسُ يَقُولُ: أُخِذَتْ مِنِّي عِشْرُونَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ فَكَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ فِدَايَ فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَكَانَهَا عِشْرِينَ عَبْداً كُلُّهُمْ يُضْرَبُ بِمَالٍ مَكَانَ عِشْرِينَ أُوقِيَةً، وَأَعْطَانِي زَمْزَمَ وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا جَمِيعَ أَمْوَالِ مَكَّةَ، وَأَنَا أَرْجُو المَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّي.

العَبَّاسُ فِي مَكَّةَ:

يَبْدُو أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ كُلُّ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مَعَ المُشْرِكِينَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَقَدْ أُمِرُوا بِالعَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ لِيُقِيمُوا ما كانُوا يُقِيمُونَ مِنْ أَمْرِ السِّقَايَةِ والرِّفَادَةِ والرِّئَاسَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي لَهَبٍ. وَكَانَتِ السِّقَايَةُ والرِّفَادَةُ والرِّئَاسَةُ في الجَاهِلِيَّةِ في بني

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٠.

هَاشِمٍ .وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الكَلاَمَ يَنْطَبِقُ عَلَى مَا كَانَ مَعَ العَبَّاسِ ، أَمَّا هُوَ فَقَدْ كَانَ سابقاً لَهُمْ فِي الإِسْلاَمِ وَمِنْ مُدَّةٍ. قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ غُلاَماً لِلْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وكَانَ الإِسْلاَمُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ البَيْتِ فَأَسْلَمَ العَبَّاسُ وَأَسْلَمتْ أُمُّ الفَضْلِ وَأَسْلَمْتُ، فَكَانَ العَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيكْرَهُ خِلاَفَهُمْ فَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلاَمَهُ، وَكَانَ ذَا مَالٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ فَخَرَجَ مَعَهُمْ عَلى بَدْرٍ وَهُوَ عَلى ذَلِكَ[1] .

وَكَان يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ أَخْبَارِ قُرَيْشٍ لاَ يَضِيعُ عَنْهُ خَبَرٌ وَاحِدٌ، وَقَد اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ، صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بِالْهِجْرَةِ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، وَإِنَّما طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبْقَى مَكَانَهُ، يُؤَدِي دَوْرَهُ الَّذِي طُلِبَ مِنْهُ[2]. وَلَمْ يَخْرُجِ العَبَّاسُ مَعَ قُرَيْشٍ إِلَى الحُدَيْبِيَّةِ، وَإِنَّما بَقِيَ فِي مَكَّةَ، وَكَانَ يُسَاعِدُ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بَقُوا فِي مَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا .

وَقَوِيَتِ الدَّوْلَةُ الإِسْلاَمِيَّةُ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ بَعْدَ صُلْحِ

---

(١) الطبقات ٤ / ١٠.

(٢) أنظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وطبقات ابن سعد، وسير أعلام النبلاء.

الحُدِيبِيَّةِ وَفَتْحِ خَيْبَرَ، وَنَقَضَتْ قُرَيْشٌ عَهْدَهَا فَسَارَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ دَوْرُ العَبَّاسِ قَدِ انْتَهَى إِذ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، بِجَيْشٍ لاَ قِبَلَ لَقُرَيْشٍ بِهِ، فَخَرَجَ العَبَّاسُ مَعَ أَهْلِهِ مُهَاجِراً عِنْدَهَا، فَالْتَقَى بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالجُحْفَةِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ فاتِحاً، فَرَجَعَ العَبَّاسُ مَعَهُ، وَتَابَعَ أَهْلُ العَبَّاسِ طَرِيقَهُمْ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ.

كَمَا الْتَقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِنِيقِ العُقَابِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ ابنِ عَمِّهِ أَبِي سُفْيانَ بنِ الحَارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَمَعَ ابنِ عَمَّتِهِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومِيِّ، وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَأَسْلَمَا بَعدَ أَنْ كَلَّمَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فِيهِمَا أُمُّ المُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ، وَهِيَ أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبي أُمَيَّةَ لأَبِيهِ.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ الظَّهْرَانِ، قَالَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقُلتُ: وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهلاَكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، البَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا. قَالَ: حَتَّى جِئْتُ الأَراكَ، فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الحَطَّابَةِ أَو صَاحِبَ لَبَنٍ أَو ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْها، وَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ، إِذْ سَمِعْتُ كَلاَمَ أَبِي سُفْيَانَ وَبَدِيلِ بنِ وَرْقَاءَ، وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرانَاً قَطُّ وَلاَ عَسْكَراً! قَالَ: يَقُول بَدِيلُ: هَذِهِ واللَّهِ خُزَاعَةُ حَشَمَتْها الحَرْبُ قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفيَانَ: خُزَاعَةُ أَذَلُّ وَأَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُها وَعَسْكَرُهَا؛ قَالَ: فَعَرِفْتُ صَوْتَهُ؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرِفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الفَضْلِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: مَالَكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؛ قَالَ: قُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي النَّاسِ، وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ! قَالَ: فَمَا الحِيلَةُ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؛ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ فِي عَجُزِ هَذِهِ البَغْلَةِ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْتَأْمِنُهُ لَكَ؛ قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ؛ قَالَ: فَجِئْتُ بِهِ، كُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرانِ المُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا

عَلَيْها، قَالُوا: عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وَسَلَّم، عَلَى بَغْلَتِهِ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بن الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِليَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبا سُفْيانَ عَلَى عَجُزِ الدَّابَةِ قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ عَدُوّ اللَّهِ! الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَكَّضْتُ البَغْلَةَ، فَسَبَقْتُهُ بِمَا تَسبِقُ الدَّابَةُ البَطِيئَةُ الرَّجُلَ البَطِيءَ. قَالَ: فَاقْتَحَمْتُ عَنِ البَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلاَ عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ دُونِي رَجُلٌ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ، قَالَ: قُلْتُ: مَهْلاً يَا عُمَرُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بن كَعْبٍ مَا قُلْتَ هَذَا، وَلَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَ: مَهْلاً يَا عَبَّاسُ، فَوَاللَّهِ لإِسْلاَمُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِ الخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلاَّ أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلاَمَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ إِسْلاَمِ الخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ ، قَالَ : فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ، فَبَاتَ عِنْدِي ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَو كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئاً بَعْدُ ، قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَّا هَذِهِ وَاللَّهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْها حَتَّى الآنَ شَيْئاً . فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ : وَيْحَكَ! أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ . قَالَ : فَشَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ ، فَأَسْلَمَ ؛ قَالَ العَبَّاسُ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الفَخْرَ ، فَاجْعَلْ لَهْ شَيْئاً ، قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبَّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الوَادِي ، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى

اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، أَنْ أَحْبِسَـهُ. قَالَ: وَمَـرَّتِ القَبَائِـلُ عَلـى رَايَاتِها، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمُ، فَيَقُولُ: مَالِـي وَلِسُـلَيْمُ، ثُمَ تَمُـرُّ القَبِيلَـةُ فَيَقُـولُ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلاَءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِمُزَيْنَةُ، حَتَّى نَفَذَتْ القَبَائِلُ، مَا تَمُرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلاَّ وَيَسْأَلُنِي عَنْها، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ، قَالَ: مَالِي وَلِبَنِي فلانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي كَتِيبَتِهِ الخَضْرَاءِ فِيهَا المُهَاجِـرُونَ والأَنْصَارُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُـمْ، لاَ يَرى مِنْهُـمْ إِلاَّ الحَـدَقَ مِنَ الحَدِيدِ، فَقَـالَ: سُبْحَـانَ اللَّـهِ. يَا عَبَّـاسُ مَنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: قُلْـتُ: هَذَا رَسُـولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، فِي المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ؛ قَالَ: ما لأَحَدٍ بِهَؤُلاَءِ قِبَلٌ وَلاَ طَاقَةٌ؛ وَاللَّهِ يَا أَبَا الفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أَخِيكَ الغَدَاةَ عَظِيماً، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا سَفْيَانَ، إِنَّها النُّبُوَةُ. قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ.

قَالَ: قُلْتُ: النَّجاءَ إِلَى قَوْمِكَ، حَتَّـى إِذَا جَاءَهُـمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمـا لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنُ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ، فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأَحْمَسَ قُبِّحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَومٍ! قَالَ: وَيْلَكُمْ لاَ تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مَا لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، قَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ، وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ، قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى المَسْجِدِ(١).

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ فَاتِحاً، وَعَفَا عَنْ أَهْلِهَا، بِاسْتِثْنَاءِ نَفَرٍ سَمَّاهُمْ، ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ مُدَّةٍ مُسْتَأْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، وَدَخَلَ البَيْتَ فَطَافَ بِهِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَحَطَّمَ مَا فِيهِ مِنْ أَصْنَامٍ، وَكَانَ يَقُولُ: جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً. وَأَزَالَ كُلَّ مَعَالِمِ الشِّرْكِ وَالوَثَنِيَّةِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ.

العَبَّاسُ فِي حُنَيْنٍ :

لَمَّا سَمِعَتْ هَوَازِنُ بِرَسُولِ اللَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ، جَمَعَهَا مَالِكُ بنُ عَوْفٍ النَّضَرِيُّ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَعَ هَوَازِنَ ثَقِيفُ كُلُّها. فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ لِيَلْقَاهُمْ، وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَ عَشْرَةِ آلافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام.

فَفَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ مَكَّةَ، فَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَتَّابَ بنَ أَسِيدَ بنِ أَبِي العِيصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ عَلَى مَكَّةَ، أَمِيراً عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى وَجْهِهِ يُرِيدُ لِقَاءَ هَوَازِنَ.

قَالَ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجْوَفَ حَطُوطٍ، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَاراً، قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ، وَكَانَ القَومُ قَدْ سَبَقُونَا إِلَى الوَادِي، فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ وَمَضَايِقِهِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا وَأَعَدُّوا، فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلاَّ الكَتَائِبَ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ رَاجِعِينَ، لاَ يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.

وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ اليَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَيُّها النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: فَلاَ شَيْءَ، حُمِلَتِ الإِبِلُ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَفَرٌ مِن المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

وَفِيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالعَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بنِ الحَارِثِ، وَابْنُهُ، والفَضْلُ بنُ العبَّاسِ، وَرَبِيعَةُ بنُ الحَارِثِ، وَأُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، وَأَيْمَنُ بنُ أَيْمَنٍ بنُ عُبَيْدٍ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ[1].

وَعَنِ العَبَّاسِ أَنَّهُ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُهُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الحَارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، والنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ. فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ الكُفَّارِ قَالَ عَبَّاسُ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لاَ تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: يَا عَبَّاسُ نَادِ يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ. قَالَ عَبَّاسُ: وَكُنْتُ رَجُلاً صَيِّتاً فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام.

صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلاَدِهَا فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ. قَالَ فَاقْتَتَلُوا هُمْ والكُفَّارُ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا بَنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ يَا بَنِي الحَارِثِ. قَالَ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ! صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ وَهُوَ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ، قَالَ ثُمَّ أَخَذَ حُصَيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: انْهَزِمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ! قَالَ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ إِلَى القِتَالِ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحُصَيَّاتِهِ ثُمَّ رَكِبَ فَإِذَا حَدُّهُمْ كَلِيلٌ وَأَمْرُهُمْ مُدْبِرٌ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ[1].

وَتَعَقَّبَ المُسْلِمُونَ مَنْ فَرَّ فِي كُلِّ جِهَةٍ، وَقَدْ سَارَ أَكْثَرُ المُنْهَزِمِينَ إِلَى الطَّائِفِ. وَجُمِعَتْ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا فَحُبِسَتْ بالجِعْرَانَةِ.

وَلَحِقَ المُسْلِمُونَ المُنْهَزِمِينَ إِلَى الطَائِفِ وَكَانُوا قَدْ تَحَصَّنُوا

---

(١) انظر طبقات ابن سعد.

بِهَا وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَها فَكَانُوا يَرْمُونَ المُسْلِمِينَ بِالنِّبَالِ فَقَتَلُوا عَدَداً مِنْهُمْ.

وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الطَّائِفِ فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةٍ، وَبَقِيَ أَهْلُ الطَّائِفِ عَلَى شِرْكِهِمْ حَتَّى شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ العَامِ التَاسِعِ حَيْثُ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الجِعْرَانَةِ وَزَّعَ الغَنَائِمَ، وَأَعْطَى المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، وَكَانَ قَدْ رَدَّ سَبَايَا حُنَيْنٍ إِلَى أَهْلِيهِمْ.

وَاعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الجِعْرَانَةِ، وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ عُمْرَتِهِ انْصَرَفَ رَاجِعاً إِلَى المَدِينَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ عَلَى مَكَّةَ، وَخَلَّفَ مَعَهُ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ يُفَقِّهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمُهُمُ القُرْآنَ. وَوَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المَدِينَةِ في أَوَائِلِ ذِي الحِجَّةِ وَمعَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العَبَّاسُ فِي المَدِينَةِ:

لَمَا قَدِمَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَنَوْفَلُ بنُ الحَارِثِ المَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُهَاجِرَيْنَ

آخى بَيْنَهُمَا وَأَقْطَعَهُمَا جَمِيعاً بالمَدِينَةِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وفَرَعَ بَيْنَهُمَا بِحَائِطٍ فكَانَا مُتَجاوِرَيْنِ فِي مَوْضِعٍ ، وكَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الجَاهِلِيَّةِ مُتَفَاوِضَيْنِ فِي المَالِ مُتَحَابَيْنِ مُتَصَافِيَيْنِ ، وَكَانَتْ دَارُ نَوْفَلَ الَّتِي أَقْطَعَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي مَوْضِعِ رَحْبَةِ الفَضَاءِ وَمَا يَلِيهَا إِلَى المَسْجِدِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ اليَوْمَ رَحْبَةُ الفَضَاءِ، وَهِيَ تُقَابِلَ دَارَ الإِمَارَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا اليَوْمَ دَارُ مَرْوَانَ. وَكَانَتْ دَارُ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ الَّتِي أَقْطَعَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيدَها وَهِيَ الَّتِي فِي دَارِ مَرْوَانَ إِلَى المَسْجِدِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِيَ دَارُ الإِمَارَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا دَارُ مَرْوَانَ. وَأَقْطَعَ العَبَّاسَ أَيْضاً دَارَهُ الأُخْرَى الَّتِي بِالسُّوقِ فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُسَمَّى مُحْرِزَةَ ابنِ عَبَّاسٍ[1] .

كَانَ العَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي المَدِينَةِ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعْدَهُ مَوْضِعَ التَّكْرِيمِ وَالاحْتِرَامِ لِدَوْرِهِ الَّذِي قَامَ بِهِ لِخِدْمَةِ الإِسْلَامِ وَلإِيمَانِهِ

(١) طبقات ابن سعد.

العَمِيقِ ، وَحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَهُ ، وَلِقَرَابَتِهِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، يُجِلُّ العَبَّاسَ إِجْلاَلَ الوَالِدِ.

لَمَّا قَدِمَ صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِيِّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى مَنْ نَزَلْتَ يَا أَبَا وَهَبٍ؟ قَالَ : نَزَلْتُ عَلَى العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، قَالَ : نَزَلْتَ عَلَى أَشَدِّ قُرَيْشٍ حُبَّاً لِقُرَيْشٍ .

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى عَمِّهِ العَبَّاسِ ، وَهُوَ يَشْتَكِي ، فَتَمَنَّى عَبَّاسٌ المَوْتَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ لاَ تَتَمَنَّ المَوْتَ فَإِنْ تَكُنْ مُحْسِناً فَإِنْ تُؤَخَّرْ تَزْدَدْ إِحْسَاناً إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْراً لَكَ ، وَإِنْ تَكُنْ مُسِيئاً فَإِنْ تُؤَخَّرْ فَتَسْتَعْتِبْ مِنْ إِسَاءَتِكَ فَلاَ تَتَمَنَّ المَوْتَ .

وَوَقَعَ رَجُلٌ فِي أَبٍ لِلعَبَّاسِ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ فَلَطَمَهُ العَبَّاسُ فَاجْتَمَعَ قَوْمُهُ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنَلْطِمَنَّهُ كَمَا لَطَمَهُ . وَلَبِسُوا السِّلاَحَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ النَّاسِ تَعْلَمُونَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ؟ قَالُوا : أَنْتَ ، قَالَ : فَإِنَّ

العَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لاَ تَسُبُّوا أَمْوَاتَنا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا. فَجَاءَ القَوْمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَعُوذُ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَلَقِيَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ العَبَّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا أَبَا الفَضْلِ أَرَأَيْتَ عَبْدَ المُطَّلِبِ بنَ هَاشِمٍ وَالْغَيْطَلَةَ كَاهِنَةَ بَنِي سَهْمٍ جَمَعَهُمَا اللَّهُ جَمِيعَاً فِي النَّارِ؟ فَصَفَحَ عَنْهُ، ثُمَّ لَقِيَهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَصَفَحَ عَنْهُ، ثُمَّ لَقِيَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَرَفَعَ العَبَّاسُ يَدَهُ فَوَجَأَ أَنْفَهُ فَكَسَرَهُ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ كَمَا هُوَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ العَبَّاسُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ فَقَالَ: مَا أَرَدْتَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ فِي النَّارِ وَلَكِنَّهُ لَقِيَنِي فَقَالَ: يَا أَبَا الفَضْلِ أَرَأَيْتَ عَبْدَ المُطَّلِبِ بنَ هَاشِمٍ وَالغَيْطَلَةَ كَاهِنَةَ بَنِي سَهْمٍ جَمَعَهُمَا اللَّهُ جَمِيعاً فِي النَّارِ؟ فَصَفَحْتُ عَنْهُ مِرَاراً ثُمَّ وَاللَّهِ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي وَمَا إِيَّاهُ أَرَادَ وَلَكِنَّهُ أَرَادَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يُؤْذِي أَخَاهُ فِي الأَمْرِ وَإِنْ كَانَ حَقاً؟.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي العَبَّاسِ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ، مَنْ آذَى

العَبَّاسَ فَقَدْ آذَانِي»[1].

وَقَالَ العَبَّاسُ: كُنَّا نَلْقَى النَّفَرَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ، فَيَقْطَعُونَ حَدِيثَهُمْ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»[2].

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعَلَ عَلَى العَبَّاسِ وَوَلَدِهِ كِسَاءً، ثُم قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، لاَ تُغَادِرْ ذَنْباً. اللَّهُمَّ اخْلُفْهُ فِي وَلَدِهِ»[3].

قَالَ سَهْلٌ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي القَيْظِ، فَقَامَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَامَ العَبَّاسُ يَسْتُرُهُ بِكِسَاءٍ مِنْ صُوفٍ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْتُرِ العَبَّاسَ وَوَلَدَهُ مِنَ النَّارِ»[4].

وَبَعَثَ العَلاَءُ بنُ الحَضْرَمِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَالٍ ثَمَانِينَ أَلْفاً مِنَ البَحْرَيْنِ، فَنُثِرَتْ عَلَى

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب رقم (٣٧٥٨).
(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٨٨.
(٣) رواه أبو يعلى في مسنده.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٦.

حَصِيرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَفَ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَمَا كَانَ يَوْمَئِذٍ عَدَدٌ وَلاَ وَزْنٌ، مَا كَانَ إِلاَّ قَبْضاً، فَجَاءَ العَبَّاسُ بِخَمِيصَةٍ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ، فَذَهَبَ يَقُومُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ارْفَعْ عَلَيَّ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى خَرَجَ ضَاحِكُهُ، فَقَالَ: أَعِدْ فِي المَالِ طَائِفَةً، وَقُمْ بِمَا تَطِيقُ. فَفَعَلَ. فَجَعَلَ العَبَّاسُ يَقُولُ ـ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ ـ أَمَّا إِحْدَى اللتينِ وَعَدَنَا اللَّهُ فَقَدْ أَنْجَزَنَا.

يَعْنِي قَوْلَهُ ﴿قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ فَهَذَا خَيْرٌ مِمَّا أُخِذَ مِنِّي، وَلاَ أَدْرِي مَا يُصْنَعُ فِي الآخِرَةِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ: سَلِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَعْمِلُكَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «مَا كُنْتُ لأَسْتَعْمِلُكَ عَلَى غُسَالَةِ ذُنُوبِ النَّاسِ».

وَقَالَ العَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تُؤَمِّرُنِي عَلَى إِمَارَةٍ؟ فَقَالَ: «نَفْسٌ تُنْجِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لاَ تُحْصِيهَا».

وَأَتَى العَبَّاسُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ أَنَا عَمُّكَ، كَبُرَتْ سِنِّي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، فَعَلِّمْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: «يَا عَبَّاسُ أَنْتَ عَمِّي وَلاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْئًا وَلَكِنْ سَلْ رَبَّكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ».

وَشَهِدَ العَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَزْوَةَ تَبُوكَ فِي شَهْرِ رَجَبَ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ.

وَشَهِدَ العَبَّاسُ حَجَّةَ الوَدَاعِ مَعْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العَبَّاسُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ:

قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ سَلْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الحِجَابَةَ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُعْطِيكُمْ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْهَا، السِّقَايَةَ بِرَوَائِكُمْ وَلاَ تُرْزَرُوا بِهَا.

اسْتَأْذَنَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَبِيتَ لَيَالِي مِنَى بِمَكَّةَ مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ فَأَذِنَ لَهُ.

طَافَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى نَاقَتِهِ بِالْبَيْتِ

مَعَهُ مِحْجَنٌ يَسْتَلِمُ بِهِ الحَجَرَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى السِّقَايَةَ يَسْتَسْقِي فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نَأْتِيكَ بِمَاءٍ لَمْ تَمسَّهُ الأَيْدِي؟ قَالَ: بَلَى فَاسْقُونِي، فَسَقُوهُ ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ فَقَالَ: اسْتَقُوا لِي مِنْهَا دَلْواً. فَأَخْرَجُوا مِنْهَا دَلْواً فَمَضْمَضَ مِنْهُ ثُمَّ مَجَّهُ مِنْ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: أَعِيدُوهُ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ لَعَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تُغْلَبُوا عَلَيْهِ لَنَزَلْتُ فَنَزَعْتُ مَعَكُمْ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلى ابنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ مَا تَسْقُونَ النَّاسَ مِنْ نَبِيذِ هَذَا الزَّبيبِ، أَسُنَّةٌ تَتَّبِعُونَهَا أَمْ تَجِدُونَ هَذَا أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّبَنِ، فَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى العَبَّاسَ وَهُوَ يَسْقِي النَّاسَ فَقَالَ: اسْقِنِي، فَدَعَا العَبَّاسُ بِعِسَاسٍ مِنْ نَبِيذٍ فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عُسَّاً مِنْهَا فَشَرِبَ ثُمَ قَالَ: أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا اصْنَعُوا، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَمَا يَسُرُّنِي أَنَّ سِقَايَتَهَا جَرَّت عَلَيَّ لَبَناً وَعَسَلاً مَكَانَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا افعَلُوا.

وَعَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ العَبَّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي

تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ فَرَخَّصَ لَهُ فِي ذَلِكَ.

وَمِمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الوَدَاعَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بالعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّ كُلَّ رِبَاً مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ. قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لاَ رِبا، وَإِنَّ رِبَا عَبَّاسٍ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ».

العَبَّاسُ فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ:

انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، وَهُوَ رَاضٍ عَنْ عَمِّهِ كُلَّ الرِّضَا.

وَبَايَعَ المُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَبَايَعَ العَبَّاسُ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ. وَأَمَّا رِوَايَةُ: أَنَّ العَبَّاسَ قَالَ لِعَلِيٍّ يَوْمَهَا: امْدُدْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ فَلَيْسَتْ صَحِيحَةً، إِذْ لَمْ يَتَحَدَّثِ المُسْلِمُونَ عَنِ البَيْعَةِ إِلاَّ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَلَمْ يَخْرُج المُسْلِمُونَ مِنْهَا إِلاَّ وَقَدْ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ.

وَإِذَا كَانَ حَدِيثُ العَبَّاسِ لِعَلِيٍّ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلاَ يَقْبَلُ ذَلِكَ العَقْلُ، إِذْ لاَ يُمْكِنُ لِلْعَبَّاسِ وَلاَ لِعَلِيٍّ أَنْ يَعْمَلَ أَحَدُهُمَا أَوْ

كِلاَهُمَا عَلَى تَفْرِيقِ كَلِمَةِ المُسْلِمِينَ، وَكِلاَهُمَا يَعْلَمُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتِكُمْ فَاقْتُلُوهْ». ثُمَّ إِنَّ العَبَّاسَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَيْسَ عَلَى هَذِهِ الدَرَجَةِ مِنَ السَّذَاجَةِ لِيَظُنَّ أَنَّ بَيْعَتَهُ لِرَجُلٍ كَانَ مَنْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تُغَيِّرَ مَجْرَى التَّارِيخِ، وَيَنْقُضُ المُسْلِمُونَ بَيْعَتَهُمْ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ.

العَبَّاسُ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ:

كَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْرِفُ لِلعَبَّاسِ قَدَرَهُ وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَتَهُ.

كَانَ لِلْعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِيزَابٌ عَلَى طَرِيقِ عُمَرَ، فَلَبِسَ عُمَرُ ثِيَابَهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَقَدْ كَانَ ذُبِحَ لِلْعَبَّاسِ فَرْخَانِ، فَلَمَّا وَافَى المِيزَابَ صُبَّ فِيهِ مَاءٌ فِيهِ مِنْ دَمِ الفَرْخَيْنِ فَأَصَابَ عُمَرَ فَأَمَرَ بِقَلْعِهِ، ثُمَّ رَجعَ عُمَرُ فَطَرَحَ ثِيَابَهُ وَلَبِسَ غَيْرَهَا ثُمَّ جَاءَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ العَبَّاسُ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: فَأَنَا أَعْزِمُ عَلَيْكَ لِما أَصْعَدْتَ عَلَى ظَهْرِي حَتَّى

تَضَعَهُ فِي المَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ العَبَّاسُ[1].

لَمَّا كَثُرَ المُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ عُمَرَ ضَاقَ بِهِمُ المَسْجِدُ فَاشْتَرَى عُمَرُ مَا حَوْلَ المَسْجِدِ مِنَ الدُّورِ إِلاَّ دَارَ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَحُجَرَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: يَا أَبَا الفَضْلِ إِنَّ مَسْجِدَ المُسْلِمِينَ قَدْ ضَاقَ بِهِمْ وَقَدْ ابْتَعْتُ مَا حَوْلَهُ مِنْ المَنَازِلِ نُوَسِّعُ بِهِ عَلَى المُسْلِمِينَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِلاَّ دَارَكَ وَحُجَرَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، فَأَمَّا حُجَرُ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ فَلاَ سَبِيلَ إِلَيْهَا وَأَمَّا دَارُكَ فَبِعْنِيهَا بِمَا شِئْتَ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ أُوَسِّعُ بِهَا مَسْجِدَهُمْ، فَقَالَ العَبَّاسُ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اخْتَرْ مِنِّي إِحْدَى ثَلاَثٍ، إِمَّا أَنْ تَبِعْنِيهَا بِمَا شِئْتَ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ، وَإِمَّا أَنْ أُخَطِّطُكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ المَدِينَةِ وَأَبْنِيهَا لَكَ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ، وَإِمَّا أَنْ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى المُسْلِمِينَ فَنُوَسِّعُ بِهَا فِي مَسْجِدِهِم، فَقَالَ: لاَ وَلاَ وَاحِدَةٌ مِنْهَا، فَقَالَ عُمَرُ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ. فَانْطَلَقَا إِلَى أُبَيٍّ فَقَصَّا عَلَيْهِ القِصَّةَ فَقَالَ أُبَيٌّ: إِنْ شِئْتُمَا حَدَّثْتُكُمَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) الطبقات.

فَقَالاَ : حَدِّثْنَا، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ أَنِ ابْنِ لِي بَيْتاً أُذْكَرُ فِيهِ، فَخَطَّ لَهُ هَذِهِ الخِطَّةَ خِطَّةَ بَيْتِ المَقْدِسِ فَإِذَا تَرْبِيعُهَا بَيْتُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَأَلَهُ دَاوُدُ أَنْ يَبِيعَهُ إِيَّاهُ فَأَبَى، فَحَدَّثَ دَاوُدُ نَفْسَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَا دَاوُدُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتاً أُذْكَرُ فِيهِ فَأَرَدْتَ أَنْ تُدْخِلَ فِي بَيْتِي الغَصْبَ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِي الغَصْبُ، وَإِنَّ عُقُوبَتَكَ أَنْ لاَ تَبْنِيَهِ، قَالَ : يَا رَبِّ فَمِنْ وَلَدِي؟ قَالَ : مِنْ وَلَدِكَ» . قَالَ : فَأَخَذَ عُمَرُ بِمَجَامِعِ ثِيَابِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ وَقَالَ : جِئْتُكَ بِشَيْءٍ فَجِئْتَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ. فَجَاءَ يَقُودُهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ المَسْجِدَ فَأَوْقَفَهُ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهِمْ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : إِنِّي نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلاً سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَذْكُرُ حَدِيثَ بَيْتِ المَقْدِسِ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ دَاوُدَ أَنْ يَبْنِيَهُ إِلاَّ ذَكَرَهُ. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا سَمِعْتُهُ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا سَمِعْتُهُ يَعْنِي مِنْ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ أُبَيّاً، قَالَ، وَأَقْبَلَ أُبَيٌّ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ : يَا عُمَرُ أَتَتَّهِمُنِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ : يَا أَبَا المُنْذِرِ لاَ وَاللَّهِ مَا اتَّهَمْتُكَ عَلَيْهِ وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ الحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، ظَاهِراً. قال، وقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: اذْهَبْ فَلاَ أَعْرِضُ لَكَ فِي دَارِكَ. فقَالَ العبَّاسُ: أَمَّا إِذْ فعَلْتَ فَإِنِّي قَدْ تَصدَّقْتُ بِهَا عَلَى المُسْلِمِينَ أُوَسِّعُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي مَسْجِدِهِمْ فَأَمَّا وَأَنْتَ تُخَاصِمُنِي فَلاَ. قَالَ فَخَطَّ عُمَرُ لَهُمْ دَارَهُمُ الَّتِي هِيَ لَهُمُ اليَوْمَ وَبَنَاهَا مِنْ بَيْتِ مَال المُسْلِمِينَ[1].

وَأَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فَخَرَجَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ يَسْتَسْقِي فَأَخَذَ بِيَدِ العَبَّاسِ فَاسْتَقْبَلَ بِهِ القِبْلَةَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، إِذَا قُحِطْنَا فَتَسْقِنَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَاسْقِنَا. فَمَا رَجَعُوا حَتَّى سُقُوا[2].

وَفَرَضَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لِلْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ خَمْسَةَ آلاَفٍ كَفَرَائِضَ أَهْلِ بَدْرٍ وَلَمْ يُفَضِّلْ أَحَداً عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ إِلاَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3].

وَلَمَّا دَوَّنَ عُمَرُ الدِّيوَانَ كَانَ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِهِ فِيهِ المَدْعى بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ بَنِي هَاشِمٍ يُدْعَى العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فِي وِلاَيَة عُمَرَ وَعُثْمَانَ[4].

---

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

تَحَفَّى العَبَّاسُ عُمَرَ فِي بَعْضِ الأَمْرِ فقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنْ جَاءَكَ عَمٌّ موسَى مُسْلِماً مَا كُنْتَ صَانِعاً بِهِ؟ قَالَ: كُنْتُ وَاللَّهِ مُحْسِناً إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَنَا عَمُّ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَمَا رَأْيُكَ يَا أَبَا الفَضْلِ؟ فَوَاللَّهِ لَأَبُوكَ أَحبُّ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، قَالَ: اللَّهَ اللَّهَ لأَنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَبِي فَأَنَا أُؤْثِرُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى حُبِّي[1].

وَبَقِيَ فِي بَيْتِ مَالِ عُمَرَ شَيْءٌ بَعْدَمَا قُسِمَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ العَبَّاسُ لِعُمَرَ وَلِلنَّاسِ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ فِيكُمْ عَمُّ مُوسى أَكُنْتُمْ تُكْرِمُونَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِهِ، أَنَا عَمُّ نَبِيِّكُمْ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَ عُمَرُ النَّاسَ فَأَعْطُوهُ تِلْكَ البَقِيَّةَ الَّتِي بَقِيَتْ[2].

وَلَمَّا احْتُضِرَ عُمَرُ بَعْدَ أَنْ طُعِنَ أَمَرَ مُهَيْباً أَنَ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ لِلنَّاسِ طَعَاماً فَيُطْعَمُوا (حَتَّى يَسْتَخْلِفُوا إِنْسَاناً). فَلَمَّا رَجَعُوا مِنَ الجَنَازَةِ جِيءَ بِالطَّعَامِ وَوُضِعَتِ المَوَائِدُ فَأَمْسَكَ النَّاسُ عَنْهَا (لِلْحُزْنِ الَّذِي هُمْ فِيهِ)

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر السابق نفسه.

فَقَالَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ مَاتَ فَأَكَلْنَا بَعْدَهُ وَشَرِبْنَا، وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ فَأَكَلْنَا بَعْدَهُ وَشَرِبْنَا، وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنَ الأَجَلِ فَكُلُوا مِنْ هَذَا الطَّعَامِ. ثُمَّ مَدَّ العَبَّاسُ يَدَهُ فَأَكَلَ، وَمَدَّ النَّاسُ أَيْدِيهُمْ فَأَكَلُوا[1].

وَقَدِمَ العَبَّاسُ الشَّامَ مَعَ عُمَرَ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ عُمَرُ مِنَ الشَّامِ تَنَحَّى وَمَعَهُ غُلاَمُهُ، فَعَمَدَ إِلَى مَرْكَبِ غُلاَمِهِ فَرَكِبَهُ، وَعَلَيْهِ فَرْوٌ مَقْلُوبٌ، وَحَوَّلَ غُلاَمَهُ عَلَى رَحْلِ نَفْسِهِ. وَإِنَّ العَبَّاسَ لَبَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ، وَكَانَ رَجُلاً جَمِيلاً، فَجَعَلَتِ البَطَارِقَةُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، فَيُشِيرُ: لَسْتُ بِهِ وَإِنَّهُ ذَاكَ.

وَكَانَتْ سِنُّ العَبَّاسِ قَدْ كَبُرَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَشْتَرِكْ بِالجِهَادِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاكْتَفَى بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ دَوْرٍ سَابِقٍ وَمِنْ جِهَادٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العَبَّاسُ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ:

بَقِيَتْ مَنْزِلَةُ العَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ المُسْلِمِينَ كَمَا

---

(١) المصدر السابق نفسه.

هِيَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ عُمْرُهُ قَدْ زَادَتْ عَلَى الثَمَانِينَ، فَتُوفِّيَ يَوْمَ الجُمُعَةَ لأَرْبَعَ عَشَرَةْ خَلَتْ مِنْ رَجَبَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثلاَثِينَ، وَهُوَ ابنُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَلَمَّا مَاتَ بَعَثَتْ بَنُوا هَاشِمٍ مُؤَذِنَاً يُؤَذِنُ أَهْلِ العَوَالِي: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ شَهِدَ العَبَّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَالَ فَحَشَدَ النَّاسُ وَنَزَلُوا مِنَ العَوَالِي.

وَذَهَبَ مَوْلَى لِبَنِي هَاشِمٍ يُؤَذِّنُ بِمَوْتِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بِقِيَاءَ، ثُمَّ ذَهَبَ رَسُولُ عُثْمَانَ لِلْغَايَةِ نَفْسِهَا، فَاسْتَقْبَلَ قُرَى الأَنْصَارِ قَرْيَةً قَرْيَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَافِلَةِ بَنِي حَارِثَةَ وَمَا وَلاَهَا فَحَشَدَ النَّاسُ فَمَا غَادَرْنَا النِّساءَ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ إِلَى مَوْضِعِ الجَنَائِزِ تَضَايَقَ فَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى البَقِيعِ، وَلَقَد احْتَشَدَتْ جُمُوعٌ كَبِيرَةٌ، حَتَّى النِّساء وَقَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ: حَضَرْنَا نِسَاءَ الأَنْصَارِ طُرَّاً جَنَازَةَ العَبَّاسِ وَكُنَّا أَوَّلَ مَنْ بَكَى عَلَيْهِ وَمَعَنَا المُهَاجِرَاتُ الأُوَلُ المُبَايِعَاتُ.

وَأَرْسَلَ، عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى أَهْلِ العَبَّاسِ عِنْدَمَا تُوفِّيَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ أَحْضُرَ غَسْلَهُ فَعَلْتُ[1] فَأَذِنُوا لَهُ،

---

(١) وهذا من أدب عثمان ومراعاته لأقارب المتوفى.

فَحضَرَ فكَانَ جَالِساً نَاحِيَةَ البَيْتِ، وَغَسَّلَهُ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ وَقُثَمُ بَنُوا العَبَّاسِ . وَصلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكُفِّنَ فِي بُرْدٍ حِبَرَةٍ حَسْبَمَا أَوْصَى بِذَلِكَ .

وَمَا تَخَلَّفَ عَنِ الجَنَازَةِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ .

وَرُوِيَ أَنَّ العَبَّاسَ أَعْتَقَ قُبَيْلَ مَوْتِهِ سَبْعِينَ مَمْلُوكاً .

أَوْلاَدُهُ :

كَانَ لِلْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ مِنَ الوَلَدِ تِسْعَةُ أَوْلاَدٍ مِنَ الذُّكُورِ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ وَهُمْ :

١ ـ الفَضْلُ : وَكَانَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ، وَبِهِ كَانَ يُكَنَّى، وَكَانَ جَمِيلاً، وَأَرْدَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ، وَمَاتَ بِالشَّامِ فِي طَاعُونِ عَمْوَاس عَامَ ١٨ هـ، وَلَيْسَ لَهُ عقِبٌ .

٢ ـ عَبْدُ اللَّهِ : وهُوَ حَبْرُ الأُمَّةِ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتَ بِالطَّائِفِ عَامَ ٦٨، وَلَهُ عَقِبٌ .

٣ ـ عُبَيْدُ اللَّهِ : كَانَ جَوَاداً سَخِيّاً، مَاتَ بِالمَدِينَةِ عَامَ ٨٧ هـ .

٤ ـ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَاتَ بِالشَّامِ ، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ .

٥ ـ قُثَمُ: كَانَ يُشْبِهُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ مُجَاهِدَاً إِلَى خُرَاسَانَ، وَمَاتَ بِسَمَرْقَنْدَ عَامَ ٥٧، ولَيْسَ لَهُ عَقِبٌ. وَوَلاَّه عَلِيٌّ عَلَى مَكَّةَ فَبَقِيَ عَلَيْهَا حَتَّى قُتِلَ عَلِيٌّ.

٦ ـ مَعْبَدُ: وَخَرَجَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ مُجَاهِدَاً، وَاسْتَشْهَدَ هُنَاكَ عَامَ ٣٥ هـ.

٧ ـ أُمُّ حَبِيبٍ. وَأُمُّ هؤُلاَءِ جَمِيعاً لُبَابَةُ بِنْتُ الحَارِثِ أُمُّ الفَضْلِ وَهِيَ أُخْتُ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ لأُمِّهَا. وَكَانَ يُقَالُ: مَا رَأَيْنَا بَنِي أَبٍ وَأُمٍّ أَبْعَدَ قُبُوراً مِنْ بَنِي العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ مِنْ أُمِّ الفَضْلِ.

وَكَانَ لِلْعَبَّاسِ مِنْ غَيْرِ أُمِّ الفَضْلِ:

٨ ـ الحَارِثُ: وَأُمُّهُ حُجَيْلَةُ بِنْتُ جُنْدُبِ بنِ الرَّبِيعِ.

٩ ـ كَثِيرُ: وَكَانَ فَقِيهاً مُحَدِّثاً.

١٠ ـ تَمَّامُ: كَانَ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ زَمَانِهِ.

١١ ـ صَفِيَّةُ:

١٢ ـ أُمَيْمَةُ:

وَأُمُّ هؤُلاَءِ الأَرْبَعَةِ أُمُّ وَلَدٍ.

وَرَوَى العَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِدَّةَ أَحَادِيثَ، مِنْهَا خَمْسَةٌ وَثَلاَثُونَ حَدِيثاً فِي مُسْنَدِ بَقِيِّ بنِ مَخْلَدٍ، وَاتَّفَقَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ فِي حَدِيثٍ، وَمُسْلِمٌ فِي ثَلاَثَةِ أَحَادِيثَ.

وَرَوَى عَنِ العَبَّاسِ أَبْنَاؤُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وكَثِيرُ وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَجَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، والأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الحَارِثِ بنِ نَوْفَلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَيْرَة، وَعَامِرُ بنُ سَعْدٍ، وَإِسْحَاقُ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ نَوفَلٍ، وَمَالِكُ بنُ أَوْسِ بنِ الحَدَثَانِ، وَنَافِعُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ.